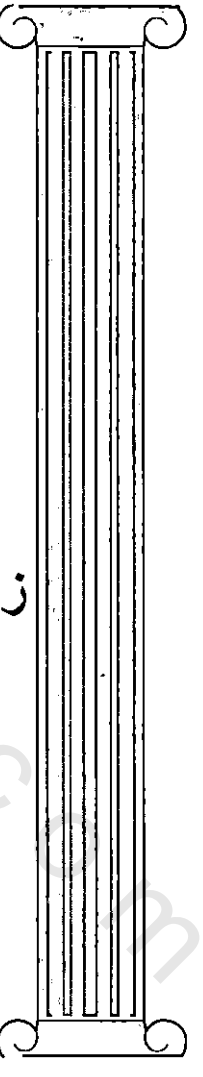

الفصل الثانى

الحوار الذى دار بين

زكى نجيب محمود ومفكرى مصر

obeikandl.com

السؤال الأول: أ. د. حسن حنفى (أستاذ الفلسفة بكلية الآداب- جامعة القاهرة) :

نشكر أ.د زكي نجيب محمود على هذا التقديم . وفى الحقيقة أن هناك تساؤلات نريد أن نستوضحها منه .

أولاً : هناك تساؤل يتبادر إلى أذهان زملائه وطلابه عن هذه المرحلة التى بدأت فى السبعينات بالمقارنة بالمرحلة السابقة عليها؛ هل هناك تواصل أم انقطاع؟ ؛ هل هناك استمرارية بين المنهج التحليلى والوضعية المنطقية اللذان سادا قبل السبعينات ثم تطبيق ذلك فى التراث العربى – الإسلامى؟! هل التواصل فى المنهج أم هل هناك تغير فى الموضوع؟ هل هناك مرحلتان فى حياة الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود أم هناك مرحلة واحدة متصلة؟!

وثانيًا : أما السؤال الثانى الذى يتبادر إلى الذهن عن ما قاله الدكتور زكى نجيب محمود باستمرار عن الشرق الفنان والغرب العالم، وأننا كعرب عُرفت عبقريتنا فى اللغة، وفى الأدب والشعر والتصوف وفى الدين إلخ.. أما الغرب فعبقريته فى العقل والعلم وحقوق الإنسان .. إلخ .. ألا يعتبر ذلك قسوة علينا وأننا أعطينا أقل مما نستحق! وربما أيضًا يكون الغرب قد أعطى أكثر مما يستحق!؛ فلدينا علم وعقل فى التاريخ، كما أن لدى الغرب تصوف ووجدان أيضًا. إن هذا التفاعل بين غروب من الشرق، وشروق من الغرب نريد أن نستوضحه من أستاذنا الدكتور زكى نجيب .

الأستاذ الدكتور . زكي نجيب محمود :

أما عن السؤال الأول : هل هما مرحلتان فى حياتى أم مرحلة واحدة؟!

فى الحقيقة أننى لم أتغير حقيقة أبدًا فى هذه النظرة أو فى تلك الوقفة (يقصد فى رؤيته التحليلية العلمية)، إلا أن التطبيق قد اختلف؛ فالكتابة الحديثة التى نستطيع أن نقول أنها بدأت كما تقول بكتاب «تجديد الفكر العربى» سنة ١٩٧٠م وإلى يومنا هذا. قد انصرفت عن المادة العلمية بمعناها الضيق، ذلك الذى كان يسود كتبى السابقة أو معظمها، فقد كانت كتبًا كتبت للجامعة مثل كتاب «المنطق» فى جزئين، وكتاب «برتراند رسل»، وكتاب «ديفيد هيوم» ومع ذلك فقد كتبت لتخدم هذا المذهب الذى ذهبت إليه فى كتابى «نحو فلسفة علمية». نفس الشيء كان فى كتاب «جابر بن حيان» .. إلخ . كل هذه الكتب كتبت فى موضوعات شغلتنى لكنها كانت فى نفس الموضوع .

أما كونى أطبق هذا المنهج نفسه، المنهج التحليلى ، تحليل اللغة فى قضايا الثقافة القائمة، الثقافة المعاصرة وفى التماس طريق يصل تراثى بالعصر، فهذا هو الذى شغلنى فى المرحلة الثانية. ولكن ذلك تم دون أن يكون هنالك تغيير فى المنهج .

أما بالنسبة للسؤال الثانى ، فقد ظلمتنى يا دكتور حسن لأننى فى كتاب «الشرق الفنان» عندما قسمت الثقافات كما عرفها التاريخ، قسمتها إلى ثلاثة أصناف أو ثلاث اتجاهات وليس اثنين!؛ فهناك الصنف الأول – الطرف الغربى – اليونان فى أوله وامتداده فى الغرب حتى يومنا هذا . هؤلاء يدورون حول محور أساسى هو منطق العقل – التحليلى . وانظر إلى ما كتبوه: أنظر إلى فعل سقراط، وماذا كتبه أفلاطون ، وماذا كتب أرسطو .. وهكذا . وبالطبع ستجد إلى جانب ذلك المحور الأساسى أن الأمر لا يخلو من أن يكون لديهم شعراء وأدباء من الطبقة الأولى. لكننا حينما نتكلم عن علم أو لا علم، يكون مجال حديثنا عن المادة أو المجال الصالح لأن يكون علماً لمن أراد أن يكون صاحب نظرة علمية .

أما الطرف المقابل لهذا الطرف ذا النظرة العلمية، فهو الشرق الأقصى ، الهند – الصين فالمعروف فى تراثهم الفكرى كما نجد فى المهابهاراتا الهندية وفى كتابات بوذا.. إلخ أننا نقرأ ولا نجد أبداً أى قطرة تشبه التحليل المنطقى الذى نجده عند أرسطو أو عند أفلاطون، إنما نجد حكمة، حكمة حياة، تلك الحكمة التى أصبحت دينهم. إنها تستخدم وسيلة إدراك هى نفسها الوسيلة الإدراكية التى تستخدم فى التصوف أو فى تذوق الفن .. الفن يريد لقطة مباشرة، وكذلك الإيمان الدينى يريد لقطة مباشرة ولا يريد إقامة برهان.

أما بالنسبة للعرب، وبصفة خاصة بعد الإسلام. وأنا أقول بصفة خاصة لأننى توصلت بعد طول بحث وتفكير إلى أن كلمة عرب – ع. ر. ب لا تهمنى بقدر ما يهمنى النمط الثقافى فى هذه المنطقة المعروفة الآن بالعربية. إن النمط الثقافى فى هذه المنطقة منذ أيام الفراعنة هو ما عندنا الآن. فالظروف واحدة وتكاد تكون الفروق بين أقطارها وشعوبها فروق فى نوع اللغة، لكن لغتهم (يقصد لغة المصريين القدماء) واللغة العربية أساسها واحد. هكذا قرأت عند المختصين فى المصريات. المهم أن الوسط العربى هذا أمره عجيب لأنه جمع بين الطرفين السابقين وخاصة بعد ظهور الإسلام. فالعربى يستطيع أن يكون متصوفًا من الطبقة الأولى، وعالم رياضة من الطبقة الأولى فى نفس الوقت. واللغة العربية نفسها عندما ندقق فى كثير جداً من مفرداتها نجد أن المفرد الواحد يكون اسمًا لشىء ويحمل فى طياته القيمة الأخلاقية التى تتناسب مع المجال الذى يستخدم فيه هذا الإسم؛ على سبيل المثال: عندما تقول أمة. ما هى الأمة؟! إنهم مجموعة من الناس تآلفوا كما لو كانوا أبناء أم واحدة ! وعلى ذلك فالتعامل بينهم يجب أن يكون كالتعامل بين الأخوة. إن المبدأ الخلقى يوضع فى الإسم ! . كلمة جار : من هو الجار؟! إنه هو الذى يجير من يستجيره من جيرانه . إن الاسم جار وضعت فيه القيمة الأخلاقية التى ينبغى أن يتعامل بها الجار مع جاره . كلمة صديق:

وضعت القيمة الأخلاقية فى الكلمة حيث ينبغى أن تكون العلاقة بين الصديقين قائمة على الصدق بحيث لا يخدع أحداً منهما أحداً .

هذا التقابل : فى الكلمة الواحدة وفى العبارة الواحدة بين القيمة الأخلاقية من ناحية وبين التسمية لأشياء معينة من ناحية أخرى توضح لنا كيف اندمج الفكر الدينى والفكر العلمى .

لقد وجدنا النوابغ فى كلا الطرفين المتقابلين (الغرب والشرق الأقصى)، وجدنا أن هذا الدمج غير موجود لا عند الغربيين ولا عند الشرق الأقصى.

أما نحن ، فقد ترجمنا فلسفة اليونان بأسرها ، بمنطقها وعلومهم بأسرها. أما الهند فلم تفعل. لماذا لم يترجم الهنود فكر اليونان؟! لماذا لم يترجموا فلسفة اليونان بينما ترجمناها نحن؟! لأننا نملك معدة تهضم العلم وتهضم المعقولات وتهضم منطق العقل، وهم ليس عندهم ذلك! وبالطبع كان ذلك هو الشىء التقليدى السائد فى الماضى ، أما الآن فالأمر اختلف وأصبح العالم أسرة واحدة وإن بقت أصول الشعوب تختلف من شعب إلى آخر .

المهم يا دكتور حسن أنا لم أدرج العرب وتراثهم فى طرف آخر مقابل الطرف اليونانى . فنحن ترجمنا فكرهم وعلومهم . بل أننا لو نظرنا نظرة فاحصة إلى القرون الثلاثة الأولى بعد ظهور الإسلام لوجدنا مسألة

واضحة جداً؛ فالقرن الأول الهجرى نزل فيه الوحى. ولم تمض ستون أو سبعون سنة من هذا القرن حتى بدأت بشائر القرن الثانى الهجرى وما زخر به من علوم، علم اللغة (سيبويه والخليل بن أحمد والكسائى وغيرهم) ، فقه وحديث، وتحقيق حديث، تفسير قرآن - علم الكلام الذى يأخذ مفردات من القرآن تريد التحليل وتحللها، هذا هو القرن الثانى: تحليلات علمية لمادة قرآنية - إسلامية إنه تحليل منطقى لما ورد. أما فى القرن الثالث فقد كانت الترجمة؛ ترجمة الثقافات المجاورة ، ثقافات اليونان ، الفرس، الهند.

ومن هذا نجد أنه قد أصبح أمامنا قناتين؛ قناة القرن الثانى وهى عبارة عن دراسات دينية ولغوية محلية . وقناة القرن الثالث الهجرى وجاءت بالثقافات المجاورة . وجاء القرن الرابع ليمثل الذروة بالنسبة للثقافة العربية، حيث نجد فى القرن الرابع وبداية القرن الخامس، نجد الصيغة الثقافية الجديدة التى ولدت وفيها الجانبين معًا كما لو كانت القناتان صبّت المادة فى القرن الرابع، فتلاقت الدراسات الدينية واللغوية مع ما قد جاءهم من فلسفة اليونان وعلومهم أو من تصوف الفرس أو من غيرهم ، فوجدنا صيغة جديدة جداً.

فعندما نأخذ على سبيل المثال شاعراً مثل أبو العلاء المعرى: من الذى يشبهه فى القرن الثانى أو الثالث أو فى ما قبل الإسلام؟! من

الذين يشبهه فى هذه الصيغة الجديدة التى نجدها فى شعره!! ليس له شبيه فيمن سبقه من العرب، ولا فى الطرف الغربى اليونانى . وكذلك ليس له شبيه فى طرف الشرق الأقصى .

وقل مثل هذا على عبد القاهر الجرجانى فى النقد، فما قاله فى النقد لا يقوله إلا واحد من المعاصرين الآن من الإنجليز أو من الأمريكيين ، إن ما قاله فى كتاب «أسرار البلاغة» أو فى «سر تفسير بلاغة القرآن» ، وتحليلاته لماهية الجملة البليغة تحليلات تشبه كثيراً جداً ما يقوله نقاد اليوم فى أوربا لأنه ارتكز فيها على ترتيب الألفاظ وهو يسميها نظم المفردات . هذا التركيز على ترتيب المفردات بحيث تتناسب مع الخطوات التى يخطوها العقل عندما يفكر. هذه هى البلاغة!

أما رسائل إخوان الصفا ، فهى موسوعة علمية ضمت كل ما عرفته الحضارات والثقافات القديمة من علوم : رياضية ، طبيعية ، شرعية .. إلخ . إننا لو انتبهنا إلى هذه الموسوعة العجيبة ، وإلى سعة الأفق التى أبداها إخوان الصفا لوجدنا أنهم منذ المجلد الأول يبشرون ويدافعون عن هدم الحواجز بين الديانات ؛ فلكلٍ دينه . ولكن فى نهاية الأمر تتلاقى هذه الديانات فى كون واحد عظيم .

إذن أنا لم أقل ذلك يا دكتور حسن عن الثقافة العربية، فالثقافة العربية قد شغلت اهتمامى وحللت أشياء كثيرة جداً فيها من منطلق أنها

ثقافة واحدة متميزة. وأنا لا أستطيع أن أقول أنها ثقافة غير علمية أو غير منطقية؛ وكيف أقول ذلك وقد كان من شروط المثقف العربى أن يكون عالماً بالنحو والمنطق؟! فقد كان من لا يعرف النحو ومن لا يعرف المنطق فى التراث العربى – الإسلامى ومهما كانت معارفه الأخرى يعد خارجًا عن ساحة الثقافة. لقد تحكم منطق العقل فى العربى وفى كل تفكيره. وقد كانت براعتهم فى الرياضيات وجهًا من وجوه ذلك. وقد كانت تلك البراعة فى الرياضيات مشهورة لهم من خلال ما أنتجوه فيها.

السؤال الثانى:

أنا سعيد جداً أولاً بالفرصة التى أتيحت لنا للقاء الأستاذ الكبير الدكتور زكى نجيب محمود، وسعيد جداً ثانيًا لأن وزارة الثقافة ولأن مصر الآن تستطيع أن تبدى مثل هذا الإهتمام بالفكر ورجال الفكر. وبعد ذلك سعيد بالرد الذى قاله د. زكى الآن فيما يخص العرب وإن كنت أريد أن أسأله عن تاريخ ذكره : القرن السادس عشر. وأنا متأكد من أنه قرأ ما صدر عن جامعة اكسفورد وخاصة كتاب رسائل لفيلسوف بريطانى كان من أساتذة فرنسيس بيكون وهو أديلار أوف باص الذى كتب فى القرن الثانى عشر رسائل إلى ابن أخته فى اكسفورد يخبره فيها أنه قد ضاق ذرعًا بالطريقة التى كان يدرس بها الأساتذة فى جامعة أكسفورد فقد كانوا كما يقول د. زكى نجيب محمود يحفظون نصًا ثم

يحاولون أن يستخرجوا منه ما يستخرجون من نتائج، ولا يتحولون عن النظر فى النص؛ يقدسونه ولا يرون أن هناك نصاً سواه . لقد ضاق ذرعاً بذلك فعبر فرنسا إلى طليطلة . وهناك التقى بالعلم العربى الذى كان ينتجه العرب من المسلمين والنصارى واليهود. التقى بهذا العلم العربى فوجد أن العالم فيه يحلل النص ويقبله ويرفضه مهما كان مصدره. وجد أن القارئ يبدأ بقراءة النص ، ثم يرفضه ثم يستخرج منه نصوصاً أخرى أو نتائج أخرى قد تكون مضادة للنص الأصلى .. إلخ .

وقد فتن أديلار أوف باص بهذا العلم واستهواه إلى حد أن جعله يعبر إلى المغرب وحتى إلى مصر . ورأى فيها وقابل علماء كان أهم ما يهمه من علمهم أنهم لا يقبلون نصاً مقدساً أبداً، وإنما كانوا يبدأون كما تقول الآن بالطريقة العلمية فى مناقشة النص ومعارضته بسواه .. وهذا هو ما شرحته سيادتك الآن فيما يخص تقسيمك للثقافات .. لكن ذلك بدأ فى الغرب من القرن الثانى عشر ..

الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود :

إن أديلار يعتبر فى تاريخ الفكر الأوربى من بشائر النهضة، أو بشير سابق على النهضة لأنه بدأ بأشياء من هذا النوع .

أما ما لاحظه عند العرب، فلا يخلو مما قلته أنا ؛ لأنه فيما يتعلق بمسألة النصوص، إذا كان لا يقبل النص إلا بعدما يقارنه بنص آخر فما

يزال هو فى دنيا النصوص. إنه لم يخرج بعد إلى الطبيعة إلى الكون!! فالمقابل هو أن ينظر إلى الضوء مثلاً فيصل إلى قوانينه، أو ينظر إلى الجاذبية ويصل إلى قوانينها كما حدث فى أوربا فى عصر النهضة .

السؤال الثالث: أ. د مراد وهبة (أستاذ الفلسفة بكلية التربية - جامعة عين شمس):

لو سمحت لى يا دكتور زكى : فى الورقة الموزعة علينا وفيها محاور النقاش أنتقى مسألتين ؛ النخبة والجماهير ، والفلسفة والتراث.

وفيما يختص بالنخبة والجماهير، كنتُ من حوالى عشر سنوات قد نظمتُ مؤتمراً دولياً فى الفلسفة عن «الفلسفة ورجل الشارع» . وأذكر أن سيادتك كتبت مقالاً مطولاً فى صحيفة «الأهرام» نقدت فيها هذا المؤتمر ، وألمحت إلى أن الفلسفة قد ذبحت فى هذا المؤتمر!! وأحب أن أنتهز الفرصة لأطلب من سيادتك مزيداً من التوضيح حول عملية الذبح هذه؟!

الأستاذ الدكتور. زكى نجيب محمود :

يا أخى أنا أنظر إلى الفلسفة نظرة جادة تعطيها حقيقتها العلمية كما وردت على أيدى الفلاسفة الكبار ، لأن كلمة فلسفة لسوء الحظ يستخدمها كل من يستخدمها ولكن لا يقصد معناها الحرفى المهنى . ما معناها المهنى؟!

معناها المهنى عبر عنه أرسطو فى جملة قصيرة ولكنها بعيدة المعنى جداً، وهى أنها دفع الموقف المراد تفسيره إلى علله البعيدة الأولى . لماذا قال : البعيدة؟! لأن العلل القريبة هى مجال عمل العلم . فلو أن عندى ظاهرة ما فالخطوة الأولى فى بحثى حولها هى أن أصل إلى قوانينها العلمية . ثم عندما تتراكم أمامى القوانين العلمية والعلوم ، أنظر فى هذه العلوم لأحللها وأجد نقطة التلاقى بينها فأصل إلى المبدأ الفلسفى .

هذه هى الفلسفة . أما ما حدث أيام مؤتمركم فقد كتبوا أنكم أحضرتم بائع بطاطا!! هل هذا كلام ؟! إن جمهور الناس مستعد جداً لإلتقاط مثل هذا الكلام ويتصور أنه صحيح وأن هذه هى الفلسفة! هل بائع البطاطا يمكن أن يقول كلامًا مثل الذى قاله أفلاطون أو أرسطو أو ابن سينا أو ابن رشد. وهل يمكنه أن يناقش قضايا عرضها ديكارت أو هيجل؟!

هل بائع البطاطا يستطيع أن يقول كلامًا مثل هذا . كيف لكم أن «تبهدلوا» الناس بهذا الشكل! وكيف تسمحون لأنفسكم أن تجعلوا من الفلسفة وكأنها «ممسحة بلاط»!!

إن الفلسفة هى الخطوة الثالثة فى تدرجات المعرفة؛ فالخطوة الأولى أن تعيش الواقع بأن تعمل تاجراً أو مهندساً أو ما شابه وأن تعيش الحياة كما هى، أما الخطوة الأعلى فهى أن يحاول الإنسان بعد ذلك أن

يستقطب من هذا الواقع، واقع التجارة مثلاً فى البيع أو الشراء، يستقطب قوانينها فيتكون علم الاقتصاد. إن الخادمة فى البيت ، كل خادمة فى المنزل تعرف الحرارة، تعرف أنها إذا وضعت «الحلة» على النار فسيغلى الماء، لكن ما قانون هذا الغليان؟ إن الخطوة الثانية فوق مستوى الحياة الفعلية هى استخراج القوانين الضامة لهذه الظواهر، وهى القوانين العلمية. وإذا ما تكاملت القوانين العلمية وإلى جانبها الفنون والمنتجات الأدبية وغيرها، يأتى الفكر الفلسفى، يأتى الفيلسوف ليسأل : هل الواقع هو هذه الكثرة العلمية، أو أن هذه الكثرة هى الأخرى يمكن أن يضمها مبدأ واحد؟!

يبحث الفيلسوف وقد يجد هذا المبدأ. وكثيرون منهم فعلاً وجدوا هذا المبدأ من وجهة نظرهم . فارتفع من مستوى من العلوم والفنون والمنتجات الإبداعية ليضمها فى مبدأ واحد مثل مبدأ «المُثل» عند أفلاطون، أو مبدأ «الصورة» عند أرسطو .. أو .. أو ... إلخ .

تلك هى الدرجات الثلاث للمعرفة، وذلك هو الفيلسوف الذى دائماً ما يكون فى القمة التى تستقطب معارف الإنسان كلها فى أى عصر من العصور فى مبدأ واحد . إن الفيلسوف هو وحده الذى يملك تلك القدرة على استخراج هذا المبدأ وعلى تطبيقه فى مختلف ميادين العلوم والفنون فى العصر الذى يعيش فيه وليس بائع البطاطا!!

استطراد من د. مراد وهبة :

بالمناسبة يا د. زكى إن المؤتمر كان عنوانه باللغة الإنجليزية "Philosophy and Massman" ، والترجمة الدقيقة لهذا العنوان هى «الفلسفة وإنسان الجماهير» ، لكنها طرحت «رجل الشارع» من باب الجاذبية. أما إنسان الجماهير الـ Massman فهو إنتاج الثورة العلمية والتكنولوجية ، لأن الثورة العلمية والتكنولوجية أفرزت ظاهر الماس Mass منها مثلاً الماس ميديا، ماس كلشر Mass culture ، ماس سوسيتى Mass society . لقد وجدت أن الـ ماس مان أيضًا هو من نتاج الثورة العلمية والتكنولوجية لكن ليس بالمفهوم الشعبى. فالـ ماس مان اليوم لو لم يتمثل الثورة العلمية والتكنولوجية لا يمكن أن يشارك فى العملية الإنتاجية التى ألحيت عليها سيادتك فى نهاية حديثك.

لقد قصدت أنه جاء الأوان لكى يصبح الـ ماس مان هو التكنولوجى، لكن ليس على مستوى الجماهير الأمية، بل على مستوى الجماهير الواعية بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية . هنا ماذا يكون دور الفلسفة؟! هذا ما قصدته . أما ما أحدث الإثارة فربما يكون لفظ «رجل الشارع». أما بائع البطاطا فأنا لم أحضره بل أحضره بعض الصحفيين قائلين: أنت معك نصف المؤتمر وهم الفلاسفة، ونحن قد أتينا إليك بالنصف الثانى ألا وهو رجل الشارع، بائع البطاطا!! ومع ذلك

فحينما بدأنا نتناقش وجدت أن بائع البطاطا لا يختلف مع ما قلته سيادتك حول عجز مصر عن إنتاج العلم !؛ فهنا تتساوى النخبة مع رجل الشارع!!

الأستاذ الدكتور: زكي نجيب محمود :

وأنت تسألنى عن : الـ ماس مان والفلسفة، الماس مان ليس له شأن بالفلسفة. إن الفلسفة – كما تعرف سيادتك فى كل تطبيقاتها عند كل فيلسوف وتغيرت الألوان وإن تغيرت اللغة والموضوعات – حفر تحت المفاهيم التى يستخدمها الناس . فالناس عادة ما يقفون عند المفاهيم . وكذلك العلم والعلماء ؛ فكل علم يأخذ مفهوماً أساسياً يفترضه ويبنى عليه العلم؛ فالرياضة مثلاً تفترض السلسلة العديدية ١ – ٢ – ٣ – ٤ فهذه السلسلة موجودة ولا يسأل عالم الرياضيات من أين جاءت؟! بل يبدأ منها باعتبارها محطة القيام بالنسبة له ويبنى عليها الرياضيات كلها.

أما فيلسوف الرياضيات فيأتى ليمشى فى الإتجاه المضاد. فيفكر فى النقطة التى أخذها عالم الرياضة افتراضًا وبنى عليها ، ليسأل : كيف جاءت إلى العقل؟! ومن أين جاءت هذه السلسلة العددية وأصبح لها قيمة؟!

ويرد على هذه الأسئلة ويحفر ويحفر حتى يصل إلى شىء لم يعد قابلاً للتحليل من وجهة نظره . من هنا جاءت نظرية رسل عن فئة الفئات Class of classes[٥] .

وقل هذا فى كل علم من العلوم . فالماس مان يستخدم علم وتكنولوجيا ابتداء من أنها موجودة . وبعد ذلك يدرب على حقائقها الواقعية . أما الفيلسوف فلا يعلو ليرى النتائج العملية ، وإنما ينزل ليرى جذور الشجرة أين هى؟! إنها مخفية تحت الأرض ، أما الباقى فهو ظاهر للناس الجذع والفروع والأوراق . الناس تكتفى بما يُرى من الشجرة . أما الفيلسوف فيحفر ليرى الجذور . الماس مان ليس مطلوباً منه أن يحفر ويأتينا بالجذور لأنه لن يعرف، ولن يستطيع أن يفعل بها شيئًا!! أما الفيلسوف فيستطيع ولا أحد يجاريه فى ذلك لأنه هو القادر على أن يحول الفكر البشرى من عصر إلى عصر . إن العصر الفكرى يظل عصراً واحداً طالما القضية المعروضة الكبرى فى هذا العصر لم تحل بعد حتى لو ظل هذا العصر ممتداً لألف سنة . إن الذى يحلها هم الفلاسفة . وحينما يكون الزمن قد مضى وحلت هذه القضية تنشأ قضية أخرى بعد تلك .. وهكذا . من يحل هذه القضايا، من الذى يقول أنها حلت ويثير القضايا الأخرى المحتاجة إلى حل حتى يمكن أن ينقلنا إلى عصر فكرى جديد. إنه الفكر الفلسفى، إنه الفيلسوف وليس «الصنايعية» أو المدرسين فى المدارس!! إن هؤلاء يدرسون المادة العلمية كما هى موجودة . لكن الآخر (الفيلسوف) يحفر ليرى الينبوع الأساسى الذى صدرت عنه هذه الكثرة العلمية أو الفنية أو غيرها مما يعيشه الناس. فإذا وجد أن هذا الينبوع قد نفد الغرض منه وأن كل هذا قد عاشه الناس ، يبدأ فى

كتاباته ينبه الناس إلى المشكلات الجديدة التى «تلهيهم» عن تلك المشكلة التى حلت ونفدت، وحلت أو نفدت ليس معناها أنها طرحت فى البحر، بل يعنى أنها أصبحت زاداً ثقافياً للناس يمكن أن يبنى عليها زاداً ثقافياً جديداً يكون فاتحة لعصر جديد .

إن هذه هى طبيعة مراحل الفكر البشرى ؛ ننتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى عندما يبطل السؤال، أو يصبح غير ذى قيمة السؤال المطروح للحل، ولكل عصر سؤاله الأساسى ، سؤاله الرئيسى الذى تتمحور وتتبلور حوله جهود العلماء والفلاسفة . إن الفيلسوف هو الذى يلملم الموجود فى القاع ليبيّن لنا هل مشكلة العصر لا تزال قائمة أم أنها حلت؟! وذلك حتى يمكنه تنبيهنا إلى مشكلات أخرى استجدت وتحتاج إلى حل ..

نحن نأخذ معنى الفلسفة ليس من «أمخاخنا» وإنما من الممارسات التى حدثت فعلاً؛ وإذا نظرنا إلى قائمة الفلاسفة لوجدنا أنهم جميعًا اتحدوا فى التكنيك الذى يمارسونه؛ وهو أن ثمة مشكلة فى هذا العصر وهو يتفاعل معها ويحاول حلها . إننى كثيراً جداً ما قلت وكثيراً ما كتبت أن تدريس الفلسفة فى بلدنا عقيم إلا إذا أخرجنا الطالب وهو يعلم تمام العلم لماذا قيل هذا الكلام من هذا الفيلسوف فى هذا العصر؟!

يعلم أن أفلاطون قال هذا الكلام ، وأن أرسطو قال هذا الكلام ، وكذلك ديكارت أو غيره فى أى عصر قال هذا الكلام ليحل به إشكالاً قائماً فعلاً، وقد حل هذا الإشكال القائم .

إننا حينما لا نفعل ذلك وندرس للطالب الفلسفة بالشكل الذى ندرسها به الآن سيتساءل الطالب فى أعماقه : ما هذا الكلام ؟! وماذا أفعل فى حياتى؟! ولقد سئلت أنا شخصياً هذا السؤال مئات المرات من الطلاب، ما فائدة الفلسفة؟! وحينما كنت أضيق ممن يسألنى هذا السؤال ، أقول له : فائدتها أن تنجح فى الإمتحان!!

السؤال الرابع : أ. د. أبو الوفا التفتازانى (أستاذ الفلسفة والتصوف بآداب القاهرة) :

أستاذى الدكتور زكى نجيب محمود لاشك أنك كنت رائداً لحركة التنوير؛ فحينما أرجع بذاكرتى إلى عام ١٩٤٨م حينما كنت طالبًا فى الفرقة الثانية بكلية الآداب – قسم الفلسفة . أتذكر أن إيمانك بالعلم وبمنهج العلم قد دفعنا فى ذلك الوقت إلى إعادة النظر فى كثير من مواقفنا الفكرية، دفعنا إلى التمييز بين أسلوب علمى وأسلوب أدبى؛ الأسلوب العلمى هو الذى يظهرنا على شىء من الأشياء أو التعبير بالمصدق[٦] ، أما الأسلوب الأدبى فهو الذى يسلينا .

كل هذا قد حفظته عنك باعتبارى تلميذاً لك، واستفدت منه فى واقع حياتى وفى أبحاثى ودراساتى التى كانت تلتزم بالمنهجية الدقيقة التى علمتنا إياها. ومرت الأيام والتقينا فى جامعة الكويت وزاملتك فى فترة الكويت. وهناك بدأت ألحظ تحولاً طرأ على فكرك وهو التحول الذى أشار إليه د. حسن حنفى حيث كنت مشغولاً فى ذلك الوقت بإعداد كتابك عن تجديد الفكر العربى. وسررت غاية السرور بأنك قد بدأت تطبق نظرياتك المنهجية فى مجال التراث العربى . وكنت ألاحظ أن اهتمامك بهذا الأمر كان اهتماماً غير عادى. والسؤال الآن : ترى هل تظل نظرتك إلى التراث كما هى الآن بعد مرور عشرين سنة تقريباً على صدور الكتاب؟! هل لازلت تؤمن بأن التراث يمكن أن نفيد منه خصوصًا وأننى قرأت لك أيضًا فى أحد كتبك أنك معجب بمنهج المعتزلة العقلى، وقلت بالنص أننا لو أفرغنا هذا الكلام الذى قال به المعتزلة من مضامينه لبقيت الصورة العقلية التى تعتد بالعقل. فأنا أريد أن أسأل سيادتك : هل يا ترى نظرتك إلى التراث العربى هى كما عبرت عنها فى «تجديد الفكر العربى» ؟!

الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود :

أنا يا دكتور تفتازانى حقيقة لم أتغير أبداً. إنما الذى تغير هو ساحة التطبيق. ففى الخمسينات أنا لم أكن أطبق لأنى ركزت على أن أبين

الطرق التحليلية التى توضح للإنسان إن كانت هذه الجملة تصلح أن تكون علمًا أم لا تصلح. وكان هذا تمهيداً لتحليل الكثير جداً من العبارات والجمل التى يستخدمها المسئولون فى مجالات المسئولية المختلفة . فهى جمل «كلام فارغ» لا تؤدى إلى شيء!! فهى لا معنى لها!! كان هذا همى عندئذ .

وكل ما حدث بعد ذلك هو أننى طبقت هذا النوع من التحليل على التراث. وفى ذلك لم أتغير. فمثلى كمثل واحد يعرف عملية العدّ . فهو اليوم يعد برتقالاً ، وغداً يعد كمثرى. إنه لم يغير إلا مجال التطبيق على ما يعده!

إن كل ما اختلفت فيه عن الآخرين فيما يتعلق بتناول التراث، وقد كتبت فى ذلك الكثير من الكتب والمقالات ولم أتوقف عن ذلك أبداً حتى تتضح الصورة، كل ما اختلفت فيه عن الآخرين هو أننى اعتبرت أن التراث يكون نقطة بدء لا نقطة نهاية . وقد جعلت هذا أحد العناوين «التراث كنقطة بدء لا نقطة نهاية» ؛ يعنى ينبغى أن أبدأ الخوض فى المجال الثقافى الحق فى هذا العصر بعد أن أكون قد ألممت بما يعطينى شخصيتى العربية – المصرية – المسلمة . فهذه آخذها من التراث لأنطلق بعد ذلك من هذه الهوية المصرية – العربية المسلمة لأسير فأرى ما يسير به العصر وما يعززه!

إذن يكون التراث خطوة أولى لا بد منها ، وليس التراث ككتلة فنحن نخطئ إذا تصورنا أن التراث محدود، فهو دنيا بأكملها . وكل واحد منا له اهتماماته الخاصة فى حياته العملية . وحسب هذه الإهتمامات خذ من التراث ما يغذيك وما يتفق مع مجالك العملى فليس كل واحد منا مسئولاً عن التراث كله فقد درجنا فى حديثنا العادى على أن تختصر «المعقد» ونقول «التراث» وكأن التراث كتاب واحد أو عشرة كتب أو حتى دولاب كتب. أبداً.

نحن نعمل بالفلسفة مثلاً، إذن يصبح من واجبنا أن نكون على صلة بالفلاسفة المسلمين، لننظر كيف تعاملوا مع ما جاءهم من بلاد اليونان. واليونان عندئذ كانت هى أوربا . هم جاءهم من اليونان وأنا اليوم أتلقى العلوم من أمريكا وأوربا . إذن الموقف واحد. ومن ثم يجب أن أقف إزاءه مثل ما وقف ابن سينا وابن رشد؛ لقد جاءته فلسفة من اليونان فلم يرفضها ، بل أخذها وجعلها ركيزة من ركيزتين يقيم عليهما حياته العقلية . فأنا يجب أن أتأثر بالتراث فى أن أصنع صنيع هؤلاء الفلاسفة وليس فى أن أحاكيهم ؛ أصنع صنيعهم ، أفعل مثلما فعلوا فهم قد جاءتهم فلسفة فقالوا : كيف أوفق بين الفلسفة والدين ، بين الفلسفة والشريعة؟! لقد كان هذا هو المحيط الذى عاشوا فيه .

أما أنا فقد جاءنى هذا العصر بعلوم ، فيكون موقفى المساوى لموقف السلف ، لموقف الوالد العربى القديم . يكون موقفى مساوى له تمامًا حين أخذ هذا الوافد علمًا وتكنولوجيا و.. و.. إلخ . وأسأل : كيف أوفق بين هذا وبين ما عندى من أخلاقيات الدين أو حقيقة الدين .. أو غير ذلك. ففى الواقع ، الموقف واحد فى كيف أهضم هذا الآتى من الآخر. أما كونى آخذه. فلا بد أننى سآخذه وإلا فإننى سأكون متجهًا إلى الإنتحار!! لا بد أن نأخذ ما بالعصر وإلا انتحرنا !! وكل ما على أن أطعم به الطرف الثانى الذى يجعلنى مصريًا – عربيًا – مسلمًا .

السؤال الخامس:

سيدى الأستاذ .. أسعد الله مساءك أولاً ومتعك بالصحة . لدى سؤال : فى الشهور القليلة الأخيرة كتب كاتب أمريكى من أصل يابانى اسمه فرنسيس فوكوياما مقالاً أسماه نهاية التاريخ . وبعد ذلك نشر هذا المقال فى كتاب كبير يحمل نفس العنوان. فى هذا المقال أستشهد بسقوط الشيوعية ثم سقوط الإتحاد السوفيتى كدولة كبرى على أن هذا هو نهاية التاريخ كما نعرفه. وأن الصراع بين الحضارات قد حسم بصورة نهائية لصالح الغرب الذى تمثله الرأسمالية والديمقراطية والحرية وهى العناصر الثلاثة التى تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة .

قد لا يهمنا كثيراً إن كان هذا هو نهاية التاريخ أو بداية لتاريخ جديد. وإنما الذى يهمنا هو أنه أشار إلى الإسلام فى اطار حديثه عن صراع الحضارات . وقال إن الدول الإسلامية أو الفكر الإسلامى تأخر وهو فى حالة صراع دائم مع الحضارة الغربية . وقد مر بتجارب ثلاث ؛ الأولى فى عهد الدولة العثمانية وفشلت . والثانية فى المشروع المصرى القومى فى الخمسينات وفشلت هى الأخرى . والآن يمر بتجربة ثالثة هى تجربة الدولة الإسلامية فى إيران ومآلها أيضًا – كما قال هو – إلى الفشل لأنها فى النهاية ستتحول إلى فكر شبه فاشيستى أو فكر دينى متعصب . وهو يقول بعد ذلك : أن على الدول الإسلامية أن تفكر إما أن تلحق بركب الحضارة الغربية أو أن تسقط!

وأسأل سيادتكم : هل نحن فعلاً بإزاء نهاية للتاريخ كما نعرفه!! نهاية تحسم الصراع الحضارى تمامًا لصالح الحضارة الغربية؟ وهل لدينا ما نستطيع أن نقف به أمام الحضارة الغربية بما نُمازج فيه بين التراث وبين المعاصرة؟!

الأستاذ الدكتور: زكى نجيب محمود :

الحقيقة التى أود أن أبدأ بها الرد على سؤالك هى أنه لا يعجبنى أبداً أن نقف موقف العدو، لنقول نحن وهم . هم من ؟! هم أصحاب العصر! وأنا صاحب العصر أيضًا !! إن اللحظة التى نقول فيها نحن

وهم أكون قد أخرجت نفسى من العصر قبل أن تخرجنى الظروف من الحياة ..

وأود أن أؤكد على نقطتين :

١ – لا بد أن يستقر فى عقولنا تمامًا أن هذا العصر عصرنا كما هو عصرهم فليس من الطبيعى أن يملكوه وأظل أنا واقف عند الباب!

٢ – أما عن مسألة نهاية التاريخ ودور الإسلام وهل يمكن أن ينهض . فأنا أقول بمنتهى الصراحة أنه إذا كانت العقلية السائدة للإسلام (يقصد الفهم الخاطئ للإسلام كما يسود عند كثيرين الآن فى العالم الإسلامى) هى ما هى وستدوم، فلا أمل! إنما إذا نُظر إلى الإسلام من حيث هو عقيدة قبل أن ينظر إليه من حيث هو شريعة ، فإن العقيدة الإسلامية وصلت إلى أرقى ما يرقى إليه العقل البشرى من حيث الهدف وهو «التوحيد» .

التوحيد لا بد أن أفهمه حق الفهم لكى أرى كيف ستتولد منه المعانى التى تجعله أصلح فكرة لتدوم إلى الأبد ، إلى أبد الآبدين حتى إذا كانت ملايين السنين .

التوحيد لكى أفهمه هو توحيد الله أى جعله واحدًا، هذا صحيح . ولكن لا بد أن نضيف إلى الواحدية الآحدية أيضًا . فالله واحد أحد «قل هو الله أحد» . فهناك اختلاف فى المعنى : الأحدية .. هذا الواحد

الذى لا ثانى له، ليس فى جوهره صراع بين اتجاهات مختلفة . هنا نجد الإنسجام فى المضمون.

وفكرة الواحدية والأحدية يستعملها مفكرون كثيرون جداً فى الغرب ويجعلون منها شرطاً للهوية ، فإذا كان لك واحدية وأحدية Unity and continiuty تكون موحداً فى اللحظة المعينة، على أن هذا التوحد فى اللحظة المعينة يظل مستمراً معك إلى آخر الحياة . فإذا ظفرت بهذين الأمرين (واحداً ودائم التوحد) إلى أن تموت تكون قد فهمت هويتك جيداً .

وهذا بالنسبة لعقيدتنا أيضاً، فالواحدية والآحدية لله سبحانه وتعالى مفهومه فهو واحد وهو أحد فى تكوينه إذا كان له تكوين أستغفر الله. إن الله وإلى أبد الأبدين Unity and continiuty . فالهوية إذا صح التعبير لا تتغير فى هذه الحالة . أما بالنسبة للإنسان فإنه هو الذى سيعتقد فى التوحيد . وعقيدته فى التوحيد فى نظرى هى الترمومتر الذى يقاس به مدى إيمانه؛ كم من معنى التوحيد استطاع أن يعيشه ؟! فأنت تقول «أشهد أن لا إله إلا الله» . هذه الشهادة يكون لها معناها فقط إذا استطعت أن تعيشها أنت .

إن عقيدة التوحيد تستوجب من المعتقد أن يوحد نفسه ، يعنى أن يزيل منها الصراعات ؛ فأنا كإنسان عندى غرائز وعندى عقل، الغرائز

تريد أشياء معينة، والعقل يريد أشياءً أخرى. وسيحدث الصراع بين مطالب العقل ومطالب الغريزة ما لم تنجح فى إزالته وما لم توحد بين عقلك وغرائزك . لا أقول تقتلع الغرائز بل انظر كيف تسير نحو هدف بفكرة العقل. بهذا تتوحد أنت، وتفهم ماذا يعنى قولك أشهد بأن الله واحد أحد .

ففى الحياة الثقافية ستجد التوحيد أمامك فى كل خطوة تخطوها وأنت تفهم حياتك العملية وحياتك الفنية وحياتك الأدبية .. إلخ . إنه بمقدار ما استطعت أن تعيش التوحيد الموحدفى نفسك وفهمته على أرض الحياة وعلى الحياة الفعلية عندك ستجد الفنون ، كل الفنون عن بكرة أبيها لن يفهمها فاهم حق الفهم إلا إذا رأى فيها التوحد . يعنى اللوحة لا بد أن أرى فيها توحد؛ فاللوحة فيها خطوط وألوان وفراغات وامتلاء .. إلخ ما الذى يجعلها صورة واحدة؟!

لا بد أن أُدرب فنيًا على أن أدرك أين تكون الوحدة التى هو «الفورم Form» أى الشكل الفنى ، وهذا هو الشكل الفنى .

إن المسلم لو كان مسلماً حقاً بمعنى عاش عقيدته ولم يكتف بنطقها ، فالنطق بإمكان البغبغان ، فالبغبغان قادر على أن يحفظ أشهد أن لا إله إلا الله . فهل معنى ذلك أنه أصبح مسلماً!!

إن المسلم ينبغى أن يعيش عقيدته فى دنيا الفن ، دنيا الأدب، دنيا السياسة دنيا الوطنية؛ فعندما نقول الأمة، الأمة واحدة نحن لا نعيش ذلك وكل منافى صراع مع الآخرين مع أننا أولى الناس بأن نتوحد ، توحد الأمة. فلولا ذلك ما سميت أمة. إننا أبناء أسرة واحدة لكننى يجب أن أعيش هذه الحقيقة وأن لا يفلت منى المعنى العميق الذى أنا مسلم به.

إذن فحينما نقول : الإسلام ! أى إسلام ! فالإسلام الحقيقى هو كما أقول أنا. وليس الكلمة التى تقال بطرف اللسان . وانما الكلمة التى أقولها لتجرى فى شرايينى وتكون كيانى وعند ذلك سأكون شخصاً آخراً بالمرة .

فالإسلام كان يمكن أن يكون فيه الأمل – رداً على هذا الأمريكى – اليابانى – فى حمل الحضارة فى مرحلتها الآتية لو كان إسلاماً بالمعنى الحقيقى.

لكن هذا إسلام ، ذلك الإسلام الذى يصلى فيه المرء باللسان دون أن يتوقف المصلى عند كلمةواحدة مما يقوله ؟!

خذ مثلاً : الله أكبر، نحن نكررها آلاف المرات فى اليوم الواحد. إفهم معناها وأنت تجد نفسك فى دنيا أخرى. دنيا أخرى عند تقديرك للأشياء والأشخاص.. إنك حينما تعرف المعنى المقصود من «الله أكبر»

ستعرف أن هذه الأشياء زائلة، الأفراد زائلون .. كل زائل لا يدوم، هو فى مرحلة بين الوجود والعدم. فكل شىء موجود معدوم فى وقت واحد. لكن الموجود الحقيقى هو الذى لا يعدم. هو الله تعالى، هو الله أكبر. تعلق بهذا المعنى، تعلق بما يدوم وانظر كيف ستتغير حياتك؟!

إن المهم فى الحياة هو ما يدوم، فما هو الذى يدوم، هل هو المال؟! هل حدث ذلك فى التاريخ كله! المعنى كتاب تاريخ واحد يقع عليه الإنسان ويجد فيه أن مؤرخاً قال بأن أحد الخالدين كان خلوده بسبب ما يملكه من مال!! وبالطبع أنا لا أملك تفسيراً لسرعة ظاهرة زوال أصحاب المال! لكننى أعتقد أن الإنسان لابد أن يبحث عما يدوم. والإنسان تدوم حقيقته فى الوجود بقدر ما فعله مما يدوم؛ أنتج ما يدوم، أنجب أبناء والأبناء أنجبوا أبناء وإذا كانوا من الأبناء الصالحين يكون الإنسان قد ترك شيئاً يدوم.. إلخ.

إننى أتحفظ على القول بأن الإسلام يصلح أو لا يصلح إلا بعد أن نفهم ماذا نعنى به؟! أنا أعتقد عقيده قد أكون مخطئ فيها ألا وهى أنه لا يجب أن نعتبر أن الأساس فى بناء الإسلام للحضارة هو الشريعة؛ فالإسلام كما يقال عقيدة وشريعة . والشريعة فرعان : العبادات والمعاملات بمعنى أننى سأعبد الله وأتعامل مع الناس وفق ما يطلب منى. ولكن ليس هذا هو الجوهر. وليس هذا هو الذى تقام عليه الحضارة

الجديدة. إذ ما دخل الحضارة الجديدة فى من تزوج واحدة أو تزوج أربعة؟! ما دخل الحضارة الجديدة فى أن الصلاة ركعتان فى الصبح، وأربع ركعات للظهر؟! الحضارة لا دخل لها بذلك. فهذه ضرورات شعائرية على المسلم القيام بها دون أن يكون لها تأثير فى مسألة الدوام الحضارى!!

لكن الذى له تأثير حقاً فى الدوام الحضارى هو العقيدة الإسلامية، عقيدة التوحيد. هذا هو ردى على ذلك اليابانى. وفى نفس الوقت فإنى يائس من أن يحمل العالم الإسلامى عبء الحضارة الجديدة! فمن يقولون: دولة إسلامية مثلا لا يفهمون ماذا يقولون! كيف تكون الدولة الإسلامية؟! ما معناها؟!

فلنرجع مرة أخرى للكلام العملى: إن الإنسان كان فى القرون السابقة كلها يظن أنه من حيث الصواب والخطأ هناك ثلاث حالات؛ فحينما تقول جملة معينة فهى إما صحيحة وإما خاطئة، وإما لا أدرى هل هى صحيحة أم خاطئة.

هذه هى الحالات الثلاث المعروفة منذ منطق أرسطو. لكن أضيف إليهم حديثًا، فى التحليل اللغوى حالة رابعة هى «لا معنى لها»!!؛ لأنه إذا كانت العبارة صحيحة أو غير صحيحة أو لا أدرى هل هى صحيحة أم خاطئة. إذا كانت واحدة من هذه الحالات الثلاث فهى عبارة يشترط

أن يكون هناك معنى تشير إليه فى دنيا الواقع إما موجود فعلاً أو موجود افتراضا. هذه الحالات الثلاث ممكنة لأنهم قائمين على أساس الوجود الفعلى أو الوجود المفترض الذى يمكن أن يكون. أما إذا كان هناك فى تركيبة أخرى لا يمكن التيقن منها منطقياً ولا إجرائياً. فهذه تكون داخله ضمن الحالة الرابعة التى غفل عنها الناس طيلة عشرين قرنا من التفكير المنطقى...

كثيرون جداً من الناس يتكلمون فى مجردات ويظن أنه يتكلم فى واقع، وهو يتكلم فى هواء، فى دخان بعبارات من النوع الرابع، تلك التى لا نستطيع أن نقول: هل هى صحيحة؟! لا. هل هى خطأ!! لا . لا نستطيع أن نعرف. ولذلك فهو كلام «رغى»!! «رغى فقط»!!

فالذين يقولون إن الإسلام دولة أرجو أن يقولوا لى كيف توصف الدولة بالإسلام؟! الإسلام عقيدة. أعتقد أنا أن الله واحد. أما الدولة: فهل تعتقد أن الله واحد؟! كيف تحقق الشروط الأساسية والأركان الأربعة للإسلام فى دولة؟! هذه أشياء لا يعملها إلا الفرد. ولذلك يُحاسب عليها ويفهم معناها على أساس أن فرداً يؤديها! ولذلك فالمسلم فرد. فحينما قلت أشهد أن لا إله إلا الله قلتها بضمير المتكلم المفرد وليس الجمع. وهذا مما يدل – كما قلت أنا فى موضع ما – أنه ابتداء من أول طرف، فى أول كلمة، فى أول ركن من أركان الإسلام شهادة بأن المسئول هو فرد؛ أشهد أنا حتى لو لم تشهد الدنيا بأسرها!

إن هذه كلها دلالات على أن المحور فى العقيدة الإسلامية هو الفرد.. الفرد هو الذى يعتقد.. الفرد هو الذى يسلم أو لا يسلم وليس الدولة.. أين هى الدولة التى تكون مسلمة أو غير مسلمة؟! كيف تشهد أن لا إله إلا الله، وتصوم وتحج.. إلخ. كيف تفعل ذلك كدولة، أين طريقة ذلك وما معناها؟!!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كلمة «دولة» نفسها من دال يدول يزول!! خذ الإسلام نفسه من أول ما نشأ إلى الآن.. وانظر كم نوع من أنواع الحكومات، وكم دولة. فهذا يكون خليفة، وذاك يصبح ملكًا، هذا يكون سلطانًا وذاك أمير، وآخر رئيس جمهورية.. كلها يقال عنها أنها دول إسلامية. من فيهم التى يمكن أن أقول عنها أنها مسلمة؟! إنها جميعًا دول ويتمثل فيها أنواع مختلفة من الحكومات. وأنا «أستغرب» حقيقة؛ هؤلاء يقولون ما يقولون لأنه ربما يكون وجودهم مرهون بهذا الذى يقولون، ومكسبهم المالى.. إلخ، هم يقولون كلامًا كثيرًا جدًا لأنهم يحصلون على المقابل المادى «الماهيات»!! ولا أكثر من ذلك!! وإلا إذا كان أحدهم يتكلم وهو مسئول حقًا عما يقول مسئولية خلقية فيجب عليه أن يسأل بدقة: هل هذا الكلام الذى يقوله له معنى؟! يقول: دولة أسلمت!! أى دولة هذه؟! وما معنى الدولة؟!

إن الدولة مجموعة أشخاص ليسوا معينين بالاسم. وكل واحد من هؤلاء الأشخاص يأتى ويذهب وتبقى الدولة. الدولة كوب فارغ ينتظر مرة أن يملأ بالماء، ومرة باخل. وهكذا!! الدولة شبكة علاقات بين أطراف، والأطراف هم الأفراد، والأفراد تتغير وتبقى الدولة كنظام علاقى، علاقات تربط بين هؤلاء الأطراف. هذه هى الدولة. إنها ليست شخصاً يجلس على القهوة ويشرب الشاى!! ..

السؤال السادس: د. قدرية إسماعيل (أستاذ الفلسفة بتربية عين شمس) :

أستاذنا الكبير د.زكى نجيب محمود جاء فى حديث سيادتكم أننا حفظة علم ولسنا بمنتجى علم وكان هذا الحديث مركزاً على تشخيص حال مصر. وسؤالى الآن: لماذا نحن حفظة علم وعاجزون عن صناعته؟! وتعلم سيادتك أن من يمتلك العلم والتكنولوچيا يستطيع أن يسيطر على مصير البشرية، فهل عدم قدرتنا على صناعة العلم يرتبط بنسق القيم الذى تعيشه مصر، أم بظروف الحياة اليومية، أم بالنظام السياسى القائم أم أن الأمر يتعلق بنسق الثقافة، التقاليد والتراث أم ماذا؟! كيف يمكن أن نفسر ونحلل ذلك؟! وشكرا.

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

إن القرون الثلاثة التى سميتها القرون الوسطى بالنسبة لنا، السادس

عشر، السابع عشر والثامن عشر، فقدت مصر فيها طاقتها الإبداعية أيام الحكم التركى، لدرجة أنهم أفرغوا مصر حتى من عمالها الفنيين!! فقدت مصر طاقتها الإبداعية وأصبحت تحفظ العلم حفظاً، وجاءت أوروبا وطرقت علينا الأبواب أول القرن التاسع عشر ودخلت وذهبت. ولكن جاء محمد على ليستمر فى نفس الطريق.. اضطررنا أمام العلوم التى جاءت مع نابليون أن نقبل العلوم وأقمنا من أجل ذلك المدارس ابتداء من عصر محمد على. وبعد ذلك أقمنا المعاهد والجامعات لأننا أدركنا أن هذه العلوم لابد أن تعرف وتعلم ولم تكن معلومة لنا من قبل، فوجدنا أنفسنا أمام علوم جاهزة تأتينا فى كتب من الخارج.

هذا بند، أما البند الآخر، فقد وجدنا أنفسنا أمام منهج علمى انتقل إلينا من تلك القرون الثلاثة الحافظة، هذه القرون أثرت وخطت حاجز التدخل الأوربى بعلومه، فأصبح كل واحد فينا يحفظ علمه ولا يبدع فيه. أريد القول أن منهج الإبداع لدينا كان معطلاً، والموجود بدلاً منه كان منهج الحفظ؛ فالطالب يحفظ الطب، كما يحفظ طالب الأدب الشعر، كما يحفظ أى طالب دارس مادته حفظاً. وفى النهاية يحصل على الشهادة ويصبح هو نفسه مُعلماً حافظاً.. إلخ.

نحن نريد الإبداع، لكن للإبداع منهجه. إننا نفرغ المادة من منهجها فى التعليم فنأخذها كمادة بدليل ما يباع فى السوق من كتب، إنها

كـتب تحـول المادة العلمـيـة إلى نقـاط ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . والمدرس الخصـوصى يحفّظ الطالب النقاط. وهذه النقاط ليس فيه أى منهج، فالمنهج كان يمكن أن يتضح من السياق الموجود فى الكتاب المفصل لو أن الطالب كان يقرأه!!

الطالب يحفظ هذه النقاط بلا رابط بينها، ويضع هذه النقاط فى ورقة الإجابة فى الامتحان ويحصل علي الدرجة كاملة!! إن هذه الصور الهزلية موجودة فى حياتنا فى أعلى ذراها فى الجامعة!!

نحن طبعًا نريد أن نأخذ المسألة كاملة وليس هناك داع لأن نتملق أنفسنا، فالحكاية «شوية مذكرات» من قبل الأستاذ، و«شوية خربشة» من قبل الطالب يضع فيها أى شيء، والله أعلم المصحح يقرأ هذا أم لا ؟!

إذن من أين أخذ الطالب المادة العملية؟! فضلاً عن من أين يأخذ المنهج؟! ولأضرب المثل بنفسى، أنا أستاذ فلسفة، وأنا أقول أنه لا يصح أن يتخرج طالب الفلسفة ولا يعرف منهج الفكر الفلسفى! فالفكر الفلسفى منهج مستقل، وهو ذلك المنهج الذى قال به أرسطو، المنهج الذى أصل به إلى العلل البعيدة وليس العلل القريبة، فالعلل القريبة تصنع العلم، لكن العلل البعيدة تعمل على اكتشاف وحدة المعرفة، كيف؟! بالتحليل، فبالتحليل أصل إلى نقطة التلاقى.

ما لم يخرج طالب الفلسفة وقد درب أو لاحظ أو عرف أو تذوق المنهج الذى استخدمه الفيلسوف، وهو منهج مبثوث فى كل فلسفة صنعها فيلسوف! فمحاورات أفلاطون، كتابات أرسطو وغيرهما من الفلاسفة، كل كتاب كتبه فيلسوف فيه هذا الرد Reduction ، رد الكثرة إلى وحدة، إلى واحدية، والواحدية فى نهاية الأمر ليست الواحدية العلمية، لأن هناك ما فوق الواحدية العلمية.. وهكذا يكون التعليل، التعليل(*) ، إن المنهج العلمى لم يدخل قلوبنا ولا عقولنا بعد، نحن نحفظ . كلنا حفاظ، نأخذ الدرجات على الحفظ ونصبح أكبر أساتذة فى الدنيا! إذن ما ينقصنا بعد تعليم المادة، أن يتدرب الطالب على استخراج المنهج. والمنهج موجود فى أى كتاب علمى حتى إن كان فى التاريخ أو فى الجغرافيا أو فى النقد الأدبى... إلخ. إذ ستجد تسلسلا يبين أن هناك انتقالاً منطقياً من درجة إلى درجة وعلى المتعلم أن يلتقط ذلك.

وبالنسبة للفلسفة، أنا أقول واثقًا مما أقول أنه لو نسى الطالب كل ما درسه من أقوال الفلاسفة، فإنه لم يخسر شيئاً إذا خرج بمكسب واحد، وهو اكتساب منهج الفكر الفلسفى، المنهج الذى رآه مجسداً فيما درسه.

(*) يقصد تعليل الظاهرة التى كانت موضع السؤال، تعليل ظاهرة عجزنا عن إنتاج العلم.

هذا هو التعليل لظاهرة تخلفنا، التعليل أنه لم يدخل عقولنا المنهج العلمى اطلاقا. كلنا يحفظ على غرار ما حفظ علماء الأزهر الكتب التى بين أيديهم فأصبحوا علماء بهذا الحفظ!!

السؤال السابع:

هناك سؤالان؛ الأول أن الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود قال أن الفلسفة تدور فى كل عصر حول سؤال. وهو فيلسوف العصر وتحدث إلينا عن فترات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات. فهل يستطيع الأستاذ الدكتور زكى أن يبلور لنا كمحبين للحكمة ما هو السؤال الذى شغله من وجهة نظره وكشاهد على العصر؛ ما هو السؤال الذى كان يدور فى ذهنه أو بين معاصريه فى الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات ... إلخ.

أما السؤال الثانى، فقد حدثنا د. زكى عن عصر النهضة فى أوروبا وعن قرون ثلاثة تخلفنا فيها. وكنا نتصور مع رواد الفكر فى مصر المعاصرة أننا فى تلك الحقبة فى بداية عصر نهضة مصرى - عربى - إسلامى، فإذا بنا كما قلتم ننتكس إلى منهج الحفظ وليس إلى منهج الإبداع . فما المخرج ؟!!

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

بالنسبة للسؤال الأول تسألنى عن السؤال المطروح للعصر كله. وهذه مسألة تحليل وقد نختلف فى تحليلاتنا. ولكن حسبما أرى أنا، فالسؤال يتعلق بالمصير، ما هو المصير؟! وهذا مرتبط بفكرة «التقدم» بالمعنى الإصطلاحى.

فنحن لكى نأخذ بفكرة التقدم كما يراد لها أن تكون، لابد أن نمتلئ بالإيمان بأن الحاضر أفضل من الماضى، وأن المستقبل سيكون أفضل من الحاضر والماضى معاً. لابد أن تكون عندى هذه العقيدة لأن الإنسان ظن لقرون طويلة مضت أن الماضى هو العصر الذهبى وكل ما جاء بعد ذلك انحدار! والذى يقول هذا الكلام لا يمكن أن يتقدم. فعصرنا هذا عصر فكرة التقدم أولاً، أى عصر الاهتمام بالمصير وليس الاهتمام بالماضى. إن سؤال العصر هو كيف أسرع إلى المصير؟! ما هو المصير وكيف أسرع إليه؟!

وهذه مسألة حينما تدقق فيها تجد أنها محور نشاط الدول النشيطة الغنية فى أوروبا وأمريكا. وذلك لأن كل فرد فيها يريد أن يقهر الطبيعة بالتكنولوچيا التى صنعها. وهو يسيطر على الطبيعة لكى يكون حراً ففكرة الحرية فى عصرنا مرتبطة ارتباطاً شديداً جداً بأن أعرف قوانين الطبيعة.

نحن وقفنا فى فهمنا للحرية عند حد أننا طردنا المستعمر لا. إن طرد المستعمر تحرر وليس حرية. لقد تحررت من القيد، القيد الذى أحاط برجلى تخلصت منه لكننى لازلت أقف فى مكانى. إلى أين أتجه لا أدرى؟!

إن هذا هو ما حدث فى كل البلاد التى استقلت، لقد أخذت كل البلاد الإفريقية التى كانت مستعمرة استقلالها، ومع ذلك فهى لا تزال عبدة لمن كان يستعمرها، لماذا؟! لأنه هو الذى لديه المعرفة والعلم. ونحن ليس لدينا.. نحن «نشحت» منه؛ اعطنى دبابات وطائرات، من فضلك اعطنى ثلاجات وأيضًا اعطنى الكتب والورق. إن الغرب لو أمسك عنا الورق فماذا نحن فاعلون؟! لن يكون هناك لا تعليم ولا جرائد ولا صحافة ولا غيره!! حتى أننا حينما نريد تصنيع الورق. فمعامل تصنيعه نأخذها منهم!!

إنهم يدعون الحياة. ونحن نسأل الصدقة وأحياناً نحصل عليها أو يرفضون اعطاءها لنا!! فكيف إذن أكون حراً. إن الفكرة الأساسية مرتبطة ببعضها؛ إيمان بالتقدم فاهتمام بالمصير، وحرية فنظرة إلى الماضى جديدة تعتبر الماضى كما أقول نقطة بدء وليس نقطة نهاية.

أما عن سؤالك الثانى حول دخولنا عصر النهضة. نحن دخلنا فعلاً لكن هناك معوقات. فنحن بدأنا النهضة حقيقة من أيام محمد على

طالما فتحنا الباب لأوروبا وأرسلنا البعثات وقبلنا فكرة العلم. لكن ما حدث أننا لم نكمل التصور، لم نكمل الاهتمام بمنهج العلم. لقد مر قرنان من الزمان. والتقدم لايزال بطيئاً ولازلنا بلد متخلف. مازلنا بلد فى العالم الثالث! فماذا حدث وما هو الذى تسبب فى «تعطيلنا» ؟!

إننى اعتقد – ورزقى على الله – أن ما عطلنا وجود عوائق من أهمها أن الماضى ما يزال يشد كثرة الجماهير، لأن كثرة الجماهير لا يسيرها أنا أو أنت. إن الجماهير تأخذ معرفتها عن أناس آخرين لهم ثقافة تجد قبولاً عند الريفى وعند العامل وعند الرجل البسيط عموماً. إنها الثقافة الدينية، والدين «على عينا وراسنا» لكن حينما أفهمه على أنه قوة دافعة ولا أفهمه على أنه مجرد جلسة تفسير قرآن!

لأنه ينبغى أن أسأل وماذا بعد التفسير، إننى لابد أن أكمل هذا الذى فسرته بخطوة تنفيذ. بخطوات عمل!! لكنى أتغنى به. وماذا ينفعنى إذا ظللت أتغنى بالقرآن ؟! وماذا ينفعك إذا ظللت تتغنى به ؟! المهم أن تعمل به، أن تدخله فى دنيا التنفيذ. خذ المبادئ منه وانطلق منها إلى الدنيا لتعيشها. نحن لا نفعل ذلك نأخذ القرآن ونحن قاعدون فى مكاننا بالمعنى المرضى. نحن قاعدون جميعاً نسمع تفسير القرآن!!

والجماهير يحركها هؤلاء الحفظة، ولا أحد يعطيهم بصيصاً من النور، لا أحد يقول لهم أن القرآن نزل لكى يخطط لك كيف تفعل وليس

لتحفظ تفسيره!! فماذا أفعل بالتفسير إذا حفظته «وسكت» عند هذا الحد!!

إن الطبيب (الحكيم) إذا أعطانى «روشتة» علاج، فهل أحفظها وأحتفظ بها وأنام أم أذهب إلى الصيدلية وأحضر ما فيها وأعمل به!

هناك نوعان من الثقافة من حيث الحركة والسكون؛ هناك ثقافة تحرك وهناك ثقافة سكون، ونوع اللغة ونوع التفكير يختلف فى الحالتين.

نحن لسوء الحظ أميل إلى ثقافة السكون، فالجماهير ومن يعلمهم ومن يسمعونهم أصواتهم، كلّ يسمع ويُعجب بالذى يسمعه، لكن لا يعرف ما الذى يستفيده عمليا منه!! إذن لا توجد حركة...

إننا لو أدخلنا الحركة مثلما فعل الصهاينة فى اليهودية! ما الفرق بيننا وبينهم، إنهم قلبوا المسألة؛ جعلوا العقيدة الدينية هى المفتاح، جعلوها أداة تحريك ونجحوا فى ذلك نجاحًا كبيراً. إذن لماذا لا نفعل نحن ذلك أيضاً فنجعل العقيدة الدينية دافعة إلى الحركة والى الفعل ؟!!

إننا لم نفعل ذلك، ولذلك تعطلت النهضة لأن الكتلة الجماهيرية ثابتة! ولو أننا عدنا إلى الوراء مائة سنة سنجد أن أولئك الذين تعجب بهم الآن كانوا سيكونون هم أنفسهم لو عاشوا سنة ١٨٩٠ . الجماهير كانت ستعجب بهم أيامها بنفس الدرجة مما يدل على أن هذا النوع من التثقيف ليس هو الذى يحرك. وقد وقعنا فى فخه فعلاً !! لأننا حينما

دخلت الحضارة والثقافة الأوروبية مع نابليون أولاً، ثم بالتعليم والبعثات وغيره بعد ذلك. انقسمنا ثقافيًا ولا نزال إلى ثلاث جماعات؛ جماعة كبيرة جداً هي التي أشرت إليها أنفاً وهي التي لا تريد أن تتحرك. تكتفي بحفظ العلم محفوظات ممكن يسمعها من الألف إلى الياء في الإذاعة أو في التليفزيون ، لكن بماذا يجدى الحفظ؟! ماذا أفعل به ؟!

هذه كتلة كبيرة جداً ترفض منهج العلم وهي تتصور أنها تملكه والحقيقة هي ما قلت. أما الطرف المقابل فهو لحسن الحظ قليل العدد جداً، وهو ذلك الطرف الذي يظن أن الأفضل أن آخذ أوروبا والعلم الأوروبي كما هو. فطالما أنها نجحت ينبغي أن آخذها!! لكن كوني أكون إنجليزي مع الإنجليز. ماذا يعني ذلك؟! أضفت إلى الإنجليز واحد!! ولم أعد أنا.

إنما العمالقة من مفكرينا وهم الرواد الحقيقيون، هم الذين اجتهدوا في أن يقفوا موقفاً وسطاً يضم الإثنين معاً؛ يضع الواحد منهم ما نسميه نحن التراث أو الروح العربية – الإسلامية مع ديناميكية الحركة من منهجية الفكر الغربي. وهؤلاء هم الذين سيعيشون. ورغم أن عددهم ليس كبيراً إلا أن تأثيرهم والحمد لله نرجو أن يكون أقوى.

وإذا كان هناك أمل في نهضة فستكون عن طريق هؤلاء.

لو أنك حللت الجامعات المصرية من أول ما نشأت حتى الآن لتأخذ فكرة عن التطور الذى عشناه وكيف حدث؟! ستجد أن الجزء الأول من العشرينات والثلاثينيات كانت الجامعة فاتحة أبوابها على أوروبا، وكانت تجلب أساتذة من أوروبا، وكذلك الكتب والمراجع..إلخ. كان كل ذلك لابد أن ندرسه ولابد أن نعرفه.. كان الانفتاح علمى وعقلى إلى آخر المدى...

السؤال الثامن : مداخله من الأستاذ عبدالفتاح السيد :

لى تعليق بسيط يا أستاذنا، ألا تعتقد معى أن سياسة التتريك التى اتبعت فى أواخر الدولة العثمانية أحدثت هوة سحيقة بين الإنسان العربى وبين تاريخه ولغته. وأصبح الإنسان العربى كالشجرة التى تقتلع من جذورها فتصبح فى مهب الريح. وهذا هو حال الإنسان العربى هذا اليوم. وقد حاول الأدباء، حاولوا ولكن للأسف كانت محاولاتهم دون جدوى فى أن تعيد هذا الإنسان إلى سابق عهده وتغلق تلك الفجوة بينه وبين تاريخه ولغته.

وأعتقد أنا أن القرآن الكريم الآن هو السبيل الوحيد لهذا لأن رب العالمين قال: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» . فالإنسان العربى لا يستطيع أن يرجع إلى لغته الحقيقية إلا عن طريق القرآن. والآن لغتنا فيها

خليط من الألفاظ التركية والفارسية والإنجليزية والفرنسية.. إلخ. نستعملها فى ممارستنا اليومية.

وأعتقد أن الاستعمار الغربى بعد الخلافة العثمانية جعل من هذه الهوة فجوة كبيرة جداً بحيث فصل الإنسان العربى فصلاً كليًا عن تاريخه وعن لغته. فأعتقد أن الاستعمار عميل الوطن العربى الآن هو من أبشع أنواع الاستعمار لأنه استعمار ثقافى وسياسى واقتصادى وفكرى. نحن نعانى من جميع أنواع الاستعمار وهذا للأسف لم يحدث من قبل لأمة من الأمم، حتى اليابان حينما احتلت من قبل الجيوش الأمريكية، بقى اليابانى مرتبط بتراثه وتاريخه ولغته. سيادتك ذكرت التراث، والتراث هو الأساس فى حياة الأمم. خذ مثلاً بإنجلترا، إنجلترا إلى اليوم تسير على اليسار لأنه من التراث. فقد كان الإنسان الإنجليزى إذا ركب الحصان يركبه من جهة اليسار. وإلى اليوم يسيرون على هذا التراث. إن ذلك اعتزاز بالتراث. والتراث هو أساس حياة الأمم.

وأرجو أن أطرح تساؤلاً آخر هو أن نابليون حينما دخل مصر جمع من الثقافة المصرية القديمة الكثير. ولكننى أعتقد أنه لما جمع علماء الأزهر استطاع أن يستنبط منهم القانون المدنى الذى شرع فى فرنسا. والذى نستمد منه الآن تشريعاتنا وأنظمتنا القانونية. لقد أردت أن أثير هاتين النقطتين أمام أستادنا.. وأرجو ألا أكون قد أطلت. وشكراً...

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

الحقيقة أننى لا آخذ بما تأخذ به أنت فى أننا تركنا التراث؛ فنحن لم نتركه ولمْ نحسن فهمه على السواء. كيف نقول تركناه؟! والفلاح وكذلك أى واحد من هذه الجماهير العريضة البسيطة لا تعرف إلا بعض التقاليد تعيش عليها. ويؤكد لهم على هذه التقاليد رجال الدين. فالتراث قائم، قائم عن غير فهم يؤدى إلى استغلاله فى الحركة (حركة المجتمع).

هذا ما أقوله وأنا لا أرفض المادة التراثية وإنما أجعلها نقطة بدء لكى أتحرك بها فى ظروف جديدة استحدثها العصر.

السؤال التاسع:

لو سمحت أستاذى الفاضل د. زكى نجيب محمود، حضرتك ذكرت فى أكثر من كتاب من كتبك أن الفكر لم يستطع التعبير عن مشاكل المجتمع وظواهر التغير الموجودة فيه مثل الأدب، وهذا لإنعدام النقد أو لأن النقد فى ميدان الفكر كان ضعيفًا بدليل أن الأدب ارتفع واستطاع التعبير السليم عن قضايا المجتمع، وانتقل من المحلية إلى العالمية بينما الفكر لايزال فى محوره لأن النقد فيه لم يكن على مستوى المسئولية. هل مازلنا نعيش فى عصر اللانقد بالنسبة للفكر؟! وهل المعارك الفكرية التى خضتها حضرتك كانت موضوعية أم أن هناك بواعث ذاتية وشخصية دخلت فى النقد نفسه؟!

الأستاذ الدكتور / زكي نجيب محمود :

إن ما قلتيه أنا فعلاً قلته : قلت أننا فى مجال الأدب والفن قد أنتجنا شيئًا «يمكن أن نقابل به الله تعالى يوم الحساب» . فلدينا شعراء وروائيون وقصة... إلخ. وكذلك فى الفن لدينا درجة مشرفة من الفن. تشكيلى وغير تشكيلى..إلخ. إلا فى عالم الفكر. الفكر بعيد عنا لأنه أصعب. لماذا هو كذلك – نريد أن نعرف؟!

نحن نتكلم فى الفكر حول مجموعة من الأفكار كالحرية والمساواة والديمقراطية والإنتماء..إلخ. وهذه الأفكار لا هى علم ولا هى أدب! ولكنها فى الوقت نفسه هى مخازن القيم. وكثير منها نزل مع الأديان لأنها قيم تقود إلى طريق الحياة. كل واحدة من هذه الأفكار حرية – مساواة – ديمقراطية ..إلخ تحمل معها كيف أعيش لكى تكون الحياة مقبولة.

إن هذه المجموعة من الأفكار التى لا هى أدب ولا هى فن ولا هى علم فى الوقت نفسه، هى التى تعيش فى وجدان الأديب وتسرى فى شرايين العالم لتعطيه القيم التى يعيش بها، بل والتى يمارس بها أدبه وعلمه.

أما المشتغل بتحليل هذه الأفكار مطلوب منه أن ينمو بها إلى أقصى حد، لأن من خصائص هذه الأفكار أنها ليس لها تعريف ثابت

كالرياضة؛ يعنى الحرية مثلاً لا أحد يستطيع أن يعطيك تعريفًا ثابتًا لها كتعريف المثلث مثلاً لأن الحرية ينمو معناها مع الزمن. هناك أناس يقولون أن المسلمين الأوائل عرّفوا الحرية. لا إن الحرية بذرة والبذرة تخرج منها شجرة، والشجرة تكبر وتكبر... فالحرية، والكرامة والمساواة..إلخ. لابد من مفكر يغذيها لتنمو. فإذا نمت فى ثقافة الناس وما يقرأونه يصبح هؤلاء الناس قادرين على أن يقرأوا وهم يفهمون ما يقرأونه فيما يختص بهذا العصر الذى يعيشون فيه.

خذ مثلاً أنا واحد من الناس أرى أن أهم معنى للحرية فى عصرنا هو المعنى الذى يجعلنى حرًا أمام ظواهر الطبيعة لكونى عرفت قوانينها. إذن لكى أظل حرًا على أن أكون مبدعًا للعلم لاستخراج قوانين الطبيعة.

هذه هى الحرية، فهل كان الإنسان الأول واعيًا بهذا المعنى للحرية؟! لكن هذا المعنى الآن لابد منه، فالإنجليزى والأمريكى يتفوق علىّ لأنه حر بهذا المعنى. أما أنا فأنا حر بمعنى أننى طردت المحتل. وبعد ذلك لم أعرف ماذا أفعل. فبدأت أتسول منه كتبه وآلاته وأجهزته... إلخ.

ليس عندنا المفكر ، المفكر بالدرجة الكافية لأنه فى الغالب لا يوجد القارئ الذى يستسيغ تحليلات الفكر. وبالتالى لا يوجد نقد الفكر. هناك الأدب وعرفنا نقد الأدب. ولكننا لم نعرف الفكر بالقدر الكافى ولا يوجد لدينا نقده ومن هنا فالمسألة بالنسبة لهذا الميدان «سداح مداح» ..

فرغم أهمية الفكر البالغة إلا أنه متروك لكل من يقول، ويقول أى شىء لأنه لا يوجد من يرده...

السؤال العاشر: د. وفاء إبراهيم (كلية البنات - جامعة عين شمس) :

أستاذى الدكتور/ زكى نجيب محمود، أنا أعلم اهتمامكم بالإنسان ككل، لكننى أود أن أتحدث عن جانب مهم جداً أعطيته اهتمامك، وهو الفن. فأى أساس من أسس الفلسفة المعرفية أو الوجودية أو القيمية يصلح أو يؤدى إلى الإفصاح عن طبيعة الفن بما هو فن ؟!

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

فى الحقيقة أنه من الناحية الفلسفية حتى أفهم الفن بما هو فن لابد أن أجد مكانه فى التوحد الفلسفى الذى سأقيمه فى باقى فروع المعرفة، لأن الفيلسوف أى فيلسوف حينما يبحث عن مبدأ يضم العلوم كلها فى قضية واحدة أو فى مبدأ واحد، فإن عبقريته تهديه أيضًا إلى مبدأ يفسر به الفن. ويفسر به كل ظواهر الحياة الأخرى وعلى رأسها الفن.

إذن إذا وجد الفن المعين فى فترة معينة مكانه مع بقية أفراد الأسرة فهو فن يتلاءم مع العصر الذى يعايشه ويسير فى الطريق الصحيح. إنما إذا كان لا يمكن أن أضعه فى الأسرة المعرفية فسيكون هناك شذوذ بصورة ما.

خذى مثلاً، افرضى أن بيننا فنان ينسى أنه مصرى نسياناً تاماً، وحفظ بعض الأشياء عن الفن وصنع فنا. فإن المصرى لا يجد نفسه فى هذا الفن، ولا أقصد بالإنسان هنا الإنسان العادى فقط، بل أيضًا الإنسان المثقف. فكل إنسان يريد أن يرى نفسه فى فن عصره.

إذن حينما أفسر فنون أكثر العصور التاريخية التى عشناها أجد أن عصوراً فنية بها نجاحًا باهراً؛ وعلى سبيل المثال حينما أحضر قطعة آثار فرعونية صغيرة بحجم كف اليد وأعطيها لإنسان صغير حتى لو كان فى الإعدادية، وأسأله: أين نشأت هذه؟! سيقول: هذه فرعونية! لماذا تعرف عليها!! لأن هناك روحًا واحدة سادت الفن الفرعونى لأكثر من أربعة آلاف سنة، روح وضعها الفنان فى كل ما صنع تجدها فى التمثال، فى اللوحة، فى المبنى كله... إنه طابع طبع كل شىء ولا يخطئ النظر حينما يرى أى جزئية من جزئياتها فسيعرف أنها فرعونية.

لو أن فيلسوفًا جاء فى هذا العصر ليوحد المعرفة تحت مبدأ واحد، فإن الفن سيجد موضعه بسهولة، لأنه جزء لا يتجزأ من الحياة بالمعنى العام.

كان نفس الشىء فى الفن الإسلامى، فأى جزء حتى لو كان «خمس سنتيمتر فى خمس» من باب أو شباك أو مشربية. أو من «دفاية» أو من سراج..إلخ، فأى جزء تعرف أنه فن إسلامى مما يدل على أن الفن

الإسلامى استطاع أن يبلور الروح الإسلامية فى صناعته، هذه الروح لا يخطئها إنسان.

نحن فى مصر الآن، من المؤكد أن فنانينا يقومون بدور مشرف. وإن كنت لا أدرى إذا كان دون الهدف أم لا! ولكن ممكن جداً لو وجد الفيلسوف الذى يوحد المعرفة فى مصر. يجد الفن التشكيلى كما هو قائم الآن فى موضعه ليس فقط من حيث الموضوع فهناك فنانون بحثوا فى الحروف الهجائية ليركبوا منها الصورة، حتى يصبح فناً عربياً. هذا جيد لكن ليس هذا ما نأمل فيه، فالمأمول أن يرسم الفنان ما يرسمه مستخدماً تلك الألوان التى «تزعق» (تصيح) وتقول: أنا مصر!! وهذه أفلح فيها كثيرون مثل صلاح طاهر مثلاً، لأن مصر ألوانها ثلاثة، زرقة السماء ، وصفرة الصحراء. وخضرة الزرع. ومن شرب جو مصر جيداً لا يستطيع إلا أن يستخدم هذه الألوان لأنها مصر ولأنه ابن مصر. يرسم ما يرسم حتى لو كان الفكهانى؛ فمن بعيد ستجدى هذه الألوان فى البرتقال وفى الخس وفى أى شىء.. إنها الألوان الثلاثة، وحينما أقول أن المصرى سيجد نفسه فى اللوحة، أعنى أنه سيستريح للتركيبة وللون لأنه يألفه. انظرى إلى لوحات الفنان الإنجليزى ستجدى اللون الرمادى هو اللون الشائع فى لوحاتهم لأن السماء عندهم بهذا اللون الرمادى وهو لا يرى إلا اللون الرمادى.

والرد على سؤالك يكون أن الفن يكون فى الدرجة المأمولة إذا ما وجد موضعه من وحدة المعرفة فى مصر. فنحن لنا فكر سياسى، وغيره. ولنا فكر فلسفى . فهل هناك يا ترى ما يوحدها. إذا وجدنا أن هناك ما يوحدها ويندرج تحته الفن الذى ينتجه الفنانون، فهو فن جيد.

ختام الحوار :

على مدى ثلاث ساعات استمتعنا كثيراً بهذه المناقشات وبكل هذا الحوار الثقافى العالى جداً.والفضل فى هذا يرجع للدكتور ناصر الأنصارى ولحضرات الزملاء الذين أسعدونا بحضورهم هذه الندوة الثقافية التى نرجو أن تتكرر فشكراً لكم جميعًا . والى اللقاء فى لقاء ثقافى آخر.

«الصفيق»

الهوامش

(١) يشير أستاذنا د. زكى نجيب محمود هنا إلى جوهر فكر سقراط، ألا وهو منهجه فى الفكر والحياة معاً. فلقد كان سقراط لا يفصل بين الفكر والحياة. بل كانت مواقف حياته هى ذاتها التى نستقى منها منهجه وأفكاره. وكان جوهر هذا المنهج وهذه الحياة هو أننى أفكر لأحيا هذا المعنى الذى عرفته للحرية إلى سلوك أعيشه فى حياتى اليومية. ولذلك كان قول سقراط الشهير «أن الفضيلة والمعرفة شىء واحد» . يعنى أنه لا يهم أن أعرف معنى الفضيلة نظرياً، بل المعرفة عنده ينبغى أن ترتبط ارتباطاً مباشراً بالسلوك : لأن المعرفة النظرية بمعنى الفضيلة ستتساوى بالجهل إذا لم تتحول إلى سلوك فعلى فى حياة العارف. «فالفضيلة علم والرذيلة جهل» بهذا المعنى الخاص جداً عند سقراط.

وهذا المنهج الذى لا يفصل بين ما أفكر فيه. وما أعيشه فعلاً فى حياتى اليومية هو ما أعجب به جداً أستاذنا د. زكى نجيب محمود، وحاول استثماره والإفادة منه فى فلسفته العلمية الداعية إلى أن

تتطابق مفردات التفكير مع مواقف الحياة، والداعية إلى صنع التقدم الإنسانى عبر الفكر التحليلى العلمى.

(٢) لقد صرح أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود لمحرر هذا الصالون ذات صباح حينما كان يستعد ليلقى محاضرة افتتاحية لإحدى ندوات الجمعية الفلسفية المصرية فى أوائل التسعينيات، أن من أهم ما أسهم به فى الثقافة العربية المعاصرة هو «المقالة الأدبية» التى كان يبدعها ابداعاً غير مسبوق شكلاً ومضموناً! وكان يتعجب : كيف لم يتنبه كل من درسوا فكرة، وكل من اهتموا به بالبناء البديع الذى ابتدعه فى أدب المقالة. ولعلها مناسبة أن نذكر كل المهتمين بدراسة فكر زكى نجيب محمود الأدبى والنقدى بذلك وأن ندعوهم لدراسة أدب المقالة عنده.

(٣) يشير أستاذنا هنا إلى دور اللغة فى التقدم الحضارى؛ فحينما يسود بين الناس نمط اللغة العلمية التى تشير كل مفرداتها إلى واقع مادى ملموس تجد أنه لا يوجد بين هؤلاء الناس تلك الإزدواجية بين الفكر والواقع. فاللغة العلمية هى أحد أسس التفكير العلمى الذى يصنع تقدم الأمم ويقضى على الإزدواجية المفتعلة بين الفكر والواقع.

(٤) «المهابهاراتا» أحد النصوص الرئيسية فى الفكر الهندى، وتعود فى تاريخها إلى الفترة الثانية من تطور الفكر الفلسفى الهندى التى يطلق عليها مرحلة الأناشيد التى تقع بين عامى ٥٠٠ أو ٦٠٠ ق.م إلى ٢٠٠ بعد الميلاد. وتعتبر هذه المرحلة من أخصب الفترات الفلسفية الهندية حيث أنتج فيها الكثير من النصوص الفلسفية وشبه الفلسفية.

(انظر : د. رادا كرشنا ود. شارلز مور: الفكر الفلسفى الهندى، ترجمة ندره اليازجى، دار النهضة العربية، ١٩٦٧م ، ص٩ ، ص٢٣٩ وما بعدها.

(٥) يشير د. زكى نجيب محمود هنا إلى نظرية رسل فى أصل الرياضيات، حيث يعتبر رسل أنه يمكن العودة بالرياضيات إلى المنطق، نظراً لأنه لا يمكن تعريف العدد إلا على أساس مفهوم «الفئة» المنطقى. فكل عدد من الأعداد الطبيعية إنما هو فئة فئات تشتمل على عدد معين من الأعضاء، فالعدد عمومًا هو فئة فئات، والعدد واحد هو فئة الفئات التى يشتمل كل منها على عضو معين. وهكذا...

(٦) «الماصدق» : إصطلاح منطقى يعنى الأفراد الذين ينطبق عليهم صفات معينة تشكل ما يسمى فى المنطق أيضًا «بالمفهوم». أى أن كل شىء من الأشياء الواقعية لابد أن يكون له مفهوم وما صدق؛ أما المفهوم فهو الصفات المشتركة بين هؤلاء الأفراد الذين يسميهم مثلما تقول أن الإنسان هو الحيوان العاقل. أما الماصدق فهو محمد وأحمد وعلى وحسين...إلخ من أفراد البشر الذين ينطبق عليهم هذا المفهوم.

وبالطبع فإن الأسلوب العلمى هو دائمًا الذى يتحدث صاحبه عن وقائع وأحداث وظواهر ذات ما صدقات محددة ومعروفة.

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع — الصفحة

- الإهداء ... ٧
- تقديم السلسلة ... ٩
- تصدير... ١٤
- زكى نجيب محمود فى سطور ٢٤

الفصل الأول

صورة عامة لحياة زكى نجيب محمود

كما قدمها بنفسه فى صالون الأوبرا الثقافى ٢٧

الفصل الثانى

الحوار الذى دار بين زكى نجيب محمود

وبين مفكرى مصر ٥٥

- مع حسن حنفى ٥٦
- مع مراد وهبه ٦٨

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
○ مع أبوالوفا التفتازانى	٧٢
○ مع قدرية إسماعيل	٨٦
○ مع عبدالفتاح السيد	٩٦
○ مع وفاء إبراهيم	١٠١
□ ختام الحوار	١٠٤
□ الهوامش	١٠٥

obeikandl.com

مؤلفات أ. د. مصطفى النشار

(١) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها فى الفلسفة الإسلامية والغربية :

- صدرت الطبعة الأولى عن دار التنوير - بيروت ١٩٨٤م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة مدبولى بالقاهرة ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) نظرية المعرفة عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٥م.
- صدرت الطبعة الثانية والثالثة عن نفس الدار عامى ١٩٨٧-١٩٩٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٣) نظرية العلم الأرسطية - دراسة فى منطق المعرفة العلمية عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ١٩٩٥م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن دار الثقافة العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

obeikandl.com

(٤) فلاسفة أيقظوا العالم:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٨٨م.
- صدرت الطبعة الثانية عن دار الكتاب الجامعى بالعين، دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٠م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٨م.

(٥) نحو رؤية جديدة للتأريخ الفلسفى باللغة العربية:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.
- صدرت الطبعة الثانية بعنوان «نحو تأريخ عربى للفلسفة» عن دار قباء عام ٢٠٠١م.

(٦) نحو تأريخ جديد للفلسفة القديمة - دراسات فى الفلسفة المصرية واليونانية.

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٢م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(٧) مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٨) فلسفة التاريخ - معناها ومذاهبها:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٩) التفكير الفلسفى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبى عام ١٩٩٥م.

(١٠) التفكير المنطقى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبى عام ١٩٩٥م.

(١١) مكانة المرأة فى فلسفة أفلاطون - قراءة فى محاورتى «الجمهورية والقوانين»:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠١م.

(١٢) من التاريخ إلى فلسفة التاريخ - قراءة فى الفكر التاريخى عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٣) المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٤) مدخل لقراءة الفكر الفلسفى عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٥) مدخل جديد إلى الفلسفة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٨م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٣م.

(١٦) الخطاب السياسى فى مصر القديمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٨م.

(١٧) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الأول) السابقون على السوفسطائيين:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٨م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤.

(١٨) ضد العولمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٩م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار القاهرة عام ٢٠٠١م.

(١٩) فى فلسفة الثقافة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٩م.

obeikandl.com

(٢٠) تطور الفكر السياسى القديم من صولون حتى ابن خلدون:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٩م.

(٢١) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الثانى) السوفسطائيون - سقراط - أفلاطون:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة على ٢٠٠٠م .

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤م.

(٢٢) بين قرنين - معا إلى الألفية السابعة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٢٣) رواد التجديد فى الفلسفة المصرية المعاصرة فى القرن العشرين.

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٢م .

(٢٤) أرسطوطاليس - حياته وفلسفته:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٢٥) أعلام التراث الفلسفى المصرى - ذو النون المصرى رائد التصوف الإسلامى:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٣م .

(٢٦) أعلام التراث الفلسفى المصرى – على بن رضوان وفلسفته النقدية:

– صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٣م .

(٢٧) ما بعد العولمة – قراءة لمستقبل التفاعل الحضارى:

– صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٣م.

(٢٨) حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى والواقع العملى:

– صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

(٢٩) ثقافة التقدم وتحديث مصر:

– صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

(٣٠) الفكر الفلسفى فى مصر القديمة:

– صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

(٣١) تطور الفلسفة السياسية (من صولون حتى ابن خلدون):

– صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٥م.

(٣٢) مدخل إلى الفلسفة:

– صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٥م.